تمهيد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا. أما بعد:

فإن المتأمل في حالنا نحن المسلمين اليوم، وحال زماننا، وما ظهر فيه من زخرف الحياة الدنيا وزينتها، وما حصل فيه من الانفتاح الكبير على الدنيا وزخرفها الفاني، وما ترتب على ذلك من التنافس والتكاثر والتفاخر فيها، حتى ظن أهلها أنهم قادرون عليها؛ أو أنهم مخلدون فيها... إن المتأمل في ذلك كله؛ ليشعر بالرهبة والخوف والإشفاق الشديد من هذه الحال، وما نتج عنها من غفلة عما خلقنا من أجله، وغفلة شديدة عن الآخرة وما فيها من نعيم أو جحيم دائمين، وما نجم عن ذلك من ركون إلى الدنيا وحطامها الزائل، ولم يسلم من هذه الغفلة إلا من رحم الله، وقليل ما هم.

وإن من الآيات التي تعد كفيلة بأن توقظنا من هذه الغفلة، وكفيلة بأن تورث في قلوبنا الخوف والخشية والوجل من هذا الحال

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧ - ٨]، وقوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ١ - ٨].

وقوله ﷺ: «**فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم**»[1] أسأل الله ﷻ أن يوقظنا من غفلتنا، وأن يرزقنا التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود.

وإن مما يؤكد ويلح على طرح هذا الموضوع ومدارسته والتواصي والتذكير به الأمور التالية:

الأمر الأول:

ما نشهده اليوم من انفتاح عظيم على متاع الدنيا وزخرفها وزينتها، الذي لم يشهد له التاريخ مثيلًا، وما صاحب ذلك من وسائل دعائية ماكرة، تدعو الناس إلى بهجة الحياة الدنيا ومتاعها الزائل،

(١) البخاري (٤٠١٥)، مسلم (٢٩٦١).

وتلاحق الناس بكل جديد من وسائل الترف والمتعة والزينة، تدعو الناس إليها وتسهل الوصول إليها وترغب الناس فيها، والركون إليها، وكأنهم مخلدون فيها فنسيت الآخرة، وأصبح الناس في لهث وراء الدنيا والتكاثر فيها، ومتابعة الجديد منها في كل صباح ومساء، حتى أصبحت عند كثير من الناس غاية يتنافسون فيها.

ولقد كان السلف رحمهم الله تعالى يتواصون بينهم في الحذر من الدنيا وعدم الركون إليها؛ مع أنهم لم يشهدوا هذه الفتنة العظمى التي نعيشها، فلا جرم إننا لأحوج منهم بكثير إلى هذا الحذر والتواصي والخوف والوجل.

الأمر الثاني:

ظهور التنافس والتكاثر والتفاخر بمتاع الدنيا وزينتها في هذا الزمان، بصورة لم يسبق لها مثيل، كما لم يسبق أن ظهرت أنواع وأشكال من التكاثر والتنافس كما ظهرت في زماننا اليوم، فبينما كان التكاثر والتفاخر بالأموال والأولاد والجاه فيما مضى من الأزمان فقد تميز زماننا بصور جديدة ومتنوعة من التكاثر في متاع الحياة الدنيا، فظهر بيننا التكاثر المريع في المساكن والعقار، وفي المراكب والملابس، وفي العلم واقتناء الكتب والمخطوطات، والتكاثر في الأتباع والمشايخ، كما

ظهر التكاثر في بيوت الكثير من الناس في الخدم والمطاعم والمشارب وولائم الزواج وغيرها.

وسيأتي في ثنايا الكتاب إن شاء الله تعالى ذكر مزيد لهذه المجالات والأنواع من التكاثر وتفصيلًا لها.

ومما يزيد من خطورة هذه الحال وصولها إلى حياة كثير من الدعاة والمشايخ وطلاب العلم - وما أبرئ نفسي - فكان لزامًا أن نحذر هذه الأحوال المخيفة وأن يكون للحديث عنها والكتابة عنها، نصيب وحضور، وذلك من باب التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

الأمر الثالث:

الأخطار العظيمة التي تنجم عن الركون إلى الدنيا والتكاثر في متاعها الزائل، ومن أعظم هذه الأخطار الغفلة عن الآخرة، والاستعداد لها، وما يترتب على هذه الغفلة من قسوة القلوب وقلة ذكر الله ﷻ، وترك الواجبات، وجرأة على المعاصي، وانتشار الحسد والمظالم بين الناس، وكفى بذلك خسرانًا مبينًا، وإثمًا عظيمًا...

قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ

﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ٩ - ١٠]، ومن هذه الأخطار ما حل في حياة كثير منا بسبب التكاثر من الترهل والترف والوهن والعزوف عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، مما جرأ أعداؤنا الكفرة على غزونا عسكريًّا، وفكريًّا، وأخلاقيًّا، وإهانتنا وإذلالنا.

الأمر الرابع:

ذلك التفرق والتدابر الحاصل اليوم بين ذوي الأرحام والإخوان، بل بين بعض الدعاة والمجاهدين والذي يمكن عزو كثير من أسبابه إلى هذه الدنيا، والتكاثر فيها، والغفلة عن الآخرة.

الأمر الخامس:

ما ظهر في عصرنا اليوم من أمراض نفسية كثيرة ومتنوعة لم تكن معهودة فيمن قبلنا، حيث انتشر القلق والاكتئاب وكثرة هموم الناس ومشاكلهم، ويمكن إرجاع كثير من هذه الأمراض إلى ضعف أعمال القلوب ونسيان الآخرة، والركون إلى الدنيا، والتكاثر فيها، وعدم القناعة والرضى بما قسم الله ﷻ من الرزق بين العباد، فكان لزامًا أن يحذر بعضنا بعضًا هذه الأخطار، وأن نتنبه لمعرفة أسبابها، ووسائل علاجها.

الأمر السادس:

ومع أهمية وخطورة هذا الموضوع إلا أن الكتابة فيه قليلة، بل إن الاعتناء به في دور العلم والتربية والدروس العلمية والمحاضن التربوية فيه قصور كبير، فكان من النصح للمسلمين ولا سيما دعاتهم وشبابهم الاهتمام بهذا الأمر والتنبه إليه وضرورة التكثيف من طرحه والتواصي به والتربية عليه. واتباع طريق السلف في الوعظ، وترقيق القلوب لا طريقة القصاص ومتنطعة الصوفية.

من أجل هذه الأمور وغيرها أكتب هذه الرسالة الجديدة في سلسلة (الوقفات التربوية في ضوء القرآن الكريم) وعنوانها: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ أنبه فيها نفسي وإخواني المسلمين إلى خطورة الركون إلى الدنيا والتكاثر فيها، وما ينجم عن ذلك من نسيان الآخرة، وضعف الاستعداد لها، وما يترتب على ذلك من مفاسد عظيمة على الفرد والمجتمع.

أسأل الله ﷻ أن ينفعني وإخواني المسلمين بها، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

وقد ضمنت هذه الرسالة الفصول التالية:

- الفصل الأول: شرح سورة التكاثر وما تضمنته من الدروس والفوائد وذكر ما في معناها من الآيات.

- الفصل الثاني: ذكر بعض الأحاديث النبوية، والآثار السلفية التي تحذر من الدنيا وخطورة التكاثر فيها.

- الفصل الثالث: ذكر بعض أنواع ومجالات التكاثر التي تحصل بين الناس ولا سيما في زماننا اليوم.

- الفصل الرابع: ذكر بعض الأخطار والآفات الناجمة عن التكاثر.

- الفصل الخامس: من وسائل الوقاية من التكاثر وأخطاره.

- الخاتمة: وفيها ثلاث مسائل:

الأولى: التوازن بين الدنيا والآخرة.

الثانية: شمولية الوعظ لجميع شئون المسلم ظاهرًا وباطنًا.

الثالثة: تنقية الوعظ مما شابه من المخالفات الشرعية.